تاريخ المقهى فى مصر

لا يوجد أى مرجع تاريخى يحدد عمر المقهى القاهرى ولم تخصص دراسة لرصد تضاريس هذا العالم المتكامل ولكن الذى لا شك فيه أن المقهى كان جزءاً من الحياة القاهرية .. فالمقهى كان معروفاً بشكل أو بآخر . بشكل مختلف عما نعرفه الآن ، أما اسمها فلم يستمد إلا حينما دخلت القهوة مصر فى القرن السادس عشر الميلادى . قيل أن أول من اهتدى إليها هو أبو بكر بن عبد الله المعروف بالعيدروس .

وكان أدق ما وصفت به المقاهى المصرية ما كتبه المستشرق الإنجليزى (ادوارد وليم لين) فى كتابه (المصريون المحدثون) يقول لين الذى زار القاهرة وعاش بها فى مطلع القرن التاسع عشر .. أن القاهرة بها أكثر من ألف مقهى ، والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود ويقوم على طول الواجهة ما عدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها مترين أو ثلاثة .. ويقدم القهوجى القهوة بخمسة فضة للفنجان وتستعمل النرجيلة والشيشة والجوزة كأدوات للتدخين ويتردد الموسيقيون والمحدثون على بعض المقاهى .[1]

وعن المقهى فى مصر نجد كتاب (وصف مصر) يذكر .. أن مدينة القاهرة تضم حوالى ١٢٠٠ بخلاف مقاهى مصر القديمة وبولاق . حيث تضم مصر القديمة ٥٠ مقهى أما بولاق فيبلغ تعداد مقاهيها المائة . وليست لهذه المبانى أية علاقة بالمبانى التى تحمل نفس الاسم فى فرنسا إلا من حيث استهلاك البن على الرغم من أن هذا المشروب يعد ويشرب بطريقة مختلفة ، فليس فى هذه المبانى أثاثات على الإطلاق وليس ثمة مرايا أو ديكورات داخلية

أو خارجية ، فقط ثمة منصات (دكة) خشبية تشكل نوعاً من المقاعد الدائرية بطول جدران المبنى ، وكذلك بعض الحصر من سعف النخيل ، أو أبسطة خشنة الذوق فى المقاهى الأكثر فخامة بالإضافة إلى بنك خشبى عادى بالغ البساطة . تلك فقط هى أثاثات المقهى المصرية ، وهناك يضطجع المترددون على الحصر التى تغطى تلك المنصات الخشبية وتقدم القهوة مغلية فى فناجين ... ولا تشرب القهوة إلا ملتهبة لكنهم يرشفونها ، وتلك عادة شائعة فى الشرق تتطلب نوعاً من التعود ، وتوضع الفناجين فى صحون صغيرة من النحاس ، تشبه الآنية المصنوعة من الخزف ... ويكاد يكون استخدام السكر فى صنع القهوة غير معروف . وعندما وصل الفرنسيون إلى مصر ظل الأهلون لفترة طويلة يسخرون من عادتهم وضع السكر فى البن . وفى نفس الوقت ، يحتفظ مدير كل مقهى بعدد كبير من النارجيلات مبسمها من العظم أو من الرخام أو الألبستر (الرخام الشفاف) بدلاً من أن يكون من الكهرمان الأصفر ويعدها للزبائن الذين يطلبونها ، وينبغى على كل مرتاد أن يحمل معه تبغه بل أن المعتادين على التدخين نادراً ما يسيرون دون نارجيلاتهم .[٢]

وقد أحصى على باشا مبارك عدد المقاهى فى القاهرة حوالى سنة ١٨٨٠ فكان عددها ١٠٦٧ قهوة ، وكان أكبر عدد من هذه القهاوى فى قسم الأزبكية حيث بلغت ٢٥٢ قهوة ، وكان أكبر عدد من الخمارات فى هذا القسم أيضاً ، حيث بلغ عددها ٢٢٨ خمارة ، كما كان يوجد عدد كبير من القهاوى فى قسم بولاق حيث بلغت ١٦٠ قهوة ، أما قسم الجمالية فكان يوجد فيه ١٤٢ قهوة، وفى قسم عابدين ١٠٢ قهوة ..[٣]

المقهى والمخدرات :

وثمة كثير من المقاهى يباع فيها الأفيون وهو نوع من المعجون المخلوط بالأعشاب ، وتتخذ الطبقة الدنيا من الشعب من هذه العقاقير وسيلة

للسكر والانتشاء ، ويعتاد عليه ثلثا عدد الحرفيين وكذا الأمر بالنسبة للفئات الأخرى من السكان ، كما أنهم يسكرون داخل بيوتهم بالرغم من أن الدين يحرم ذلك ، ويعتقل البوليس ويعاقب السكارى الذين يكون هذيانهم بالغ الصخب . وفيما عدا ذلك لا يضايقهم أحد ويكونون بمثابة تسلية بهيجة للناس بسبب هذيانهم وحركاتهم المجنونة .

المقهى والسمر :

ويوجد فى كل مقهى عدد من الرواة والمنشدين يحكون أو يغنون حكاية صحيحة أو وهمية عن شخصية خارقة ورد اسمها فى النصوص الدينية أو التاريخ الإسلامى ، ويكون الإلقاء عادة حياً مليئاً بالقوة والحيوية ، كما أن الأغنيات تمتلئ بعبق الشعر ووهجه ، وتكون نغمة الحكى مرتفعة أما نغمة الحوار فمتوسطة ، ويتوقف الراوى فى معظم الأحيان ليسأل مستمعيه ما أن كانوا يشكون فى صحة حكاية أو ما أن كانت الحكاية فى (مجملها) جميلة أو خيرة ، ويزيد منشدو المقاهى هؤلاء حكاياتهم حيوية عن طريق حركات بالغة التعبير ، ويصحبونها أو يسبقونها بموسيقى غريبة تصدر عن آلة موسيقية وترية . وهى مصنوعة من الجلد ويحك العازف بقوسه الشعرات المشدودة بالآلة والتى تستخدم كأوتار تصدر نغمات خشنة صماء ، ويدفع مدير المقهى فى بعض الأحيان لهؤلاء المنشدين ، لكنهم فى العادة لا يحصلون عن أجر إلا ما يدفعه الجمهور عن طيب خاطر .. وتاريخ الإسكندرية وجنكيز خان هو الموضوع الذى يستوحى منه هؤلاء المنشدون العرب مادة أغنياتهم ويضيفون إلى ذلك ألوف الحكايات الرائعة بالإضافة إلى قصص المعارك البطولية التى يغترفونها من أحداث بلادهم .

وفى المقاهى الفخمة تسمع أحياناً ألحان من تلك الألحان الشائعة فى مصر ، يؤديها بعض الفنانين الذين يحصلون على أجورهم من أصحاب المقاهى ومن يتطوع من الزبائن . وفى هذه الحالة يستمع الرواد فى صمت ، بحيث لا تسمع صيحة ولا ضجة ، ويبدو الفنان وهو يؤدى أغنيته غارقاً فى حلم عميق وهذا واحد من الملامح المميزة للطبع الشرقى . وفى بعض الأحيان يتنافس شخصان أو عدد أكبر على دور شطرنج ويخيل إليك وأنت تشاهدهم مندمجين فى اللعب أنهم بكم قد حرموا من نعمة الكلام ، ويتطلع المتفرجون دون أن ينبسوا بكلمة أو يهمسوا بفكرة ، ويمضى الأمر فى شكل تمثيل صامت (بانتوميم) إلا إذا جاء إلى المقهى مخموراً أو فاقد وعيه ليعكر صفو هذا الهدوء ، وليدخل على اللاعبين ومشاهديهم البهجة بأفانين هذيانه ..[٤]

وخدمات المقهى كثيرة ومتنوعة منها النرجيلة بأنواعها والقهوة بأنواعها ومن أهم المشروبات الشاى بأنواعه والأعشاب بأنواعها ..وحتى دخول المذياع كان يرتادها العازفون وأصحاب المواهب الفنية سواء فى قصص السيرة أو الحواة .

ترنيمات تاريخية على المقهى :

المكان فى العمل الأدبى يتحول من الثبات ، السكون ، الجمود ، إلى ديناميكية متحركة ، يتحول من مجرد إطار ، أو أرضية ، إلى عنصر مشارك فى العمل الأدبى إلى واحد من أبطاله . بل إنه قد يصبح هو البطل الأول أو الأساسى . والمقهى عند نجيب بطل أساسى فى الكثير من أعماله .. ولذلك تكون المتعة كاملة عندما نتعرف على تاريخ المقهى وملابساته .. فعن كافيه ريش يكتب الدكتور مرسى سعد الدين بعضاً من تاريخه قائلاً .. قراءة تاريخ مصر الوطنى والفنى والثقافى يعطينا معلومات عن دور المقاهى على مر العصور

وهناك (قهاوى) عديدة فى القاهرة ، ارتبطت بأحداث سياسية وثقافية ، بل يقال أن إحدى هذه القهاوى كان يجتمع فيها مجلس وزراء مصر فى فترة ما وكانت ترشيحات الوزراء تتم فيها .. ولعل قهوة (ريش) هى أشهر المقاهى التى ارتبطت بأسماء مشاهير المصريين على الصعيدين السياسى والثقافى وهى أيضاً المكان الذى ولدت فيه مشروعات مختلفة وحركات سياسية وفنية .

وهناك بعض الحقائق المرتبطة بريش منها أنه أنشئ فى نهاية القرن التاسع عشر ولكن نشاطه الحقيقى بدأ حوالى ١٩١٤ . وفى عام ١٩١٦ ، كما تدل الخطابات المتبادلة بين صاحبه الأصلى وهو فرنسى الجنسية والمحافظة للحصول على الترخيص . وفى عام ١٩١٦ قرر صاحب القهوة إدخال الموسيقى فى المقهى وكانت هناك فرقة تعزف الأعمال الكلاسيكية كل يوم واستمرت هذه الفرقة حتى عام ١٩١٩ .

وكان للمقهى حديقة واسعة تمتد إلى ميدان سليمان باشا (طلعت حرب الآن) أى مكان العمارات الموجودة فى الميدان .

ويذكر الترخيص المعطى للمقهى إنه مسرح (تياترو) أيضاً كان يتردد عليه سيد درويش وصالح عبد الحى وأحمد رامى ثم بعد ذلك السيدة أم كلثوم التى كانت تغنى بعض قصائدها وقد مرت قهوة (ريش) بتغيرات مختلفة تغير فيها روادها ، فمثلاً فى ١٩١٩ كانت مقراً لأعضاء الثورة وقد ذكر عبد الرحمن الرافعى فى كتابه (تاريخ مصر القومى ١٩١٤ – ١٩٢١) أن المقهى كان مكان تجمع (الأفندية) أى الطبقة الوسطى التى بدأت فى الظهور وكانت خطة الثورة بل وبعض التحركات السياسية ويقول الرافعى حين يكتب عن (ريش) .. عرفت فى هذا العهد أماكن ، يجتمع فيها دعاة الثورة والمنحدثين عن شئونها أو شئون البلاد عامة ، وكانت الأفكار تصدر عنها والمسائل العامة

تدرس فيها . وفيها تتخذ القرارات أو ترسم الأهداف التى يرى توجيه الحركة فيها .

وابتداء من الأربعينيات كما ذكرت أصبح المقهى مركز إشعاع ثقافى ويقول الشاعر محمد الفيتورى عن المقهى فى الخمسينات والستينات : ريش كان يمثل عاصمة ثقافية التقيت هناك بكامل الشناوى لأول مرة كما التقيت بعبد الرحمن الخميسى ومحمد رشدى ومحمد فهمى . وقد كان (ريش) يمثل إطاراً يجمع كل التيارات دون تمييز فكنت باعتبارى أزهرياً اجتمع مع التقدميين واليمنيين واليساريين . لهذا اجتمع الجميع على حب (ريش) .

وقد كانت ريش هى مكان تفريغ العديد من المشروعات الأدبية فعلى سبيل المثال ولدت هناك فكرة إصدار مجلة (الكاتب المصرى) التى تولى رئاسة تحريرها د. طه حسين ومجلة الثقافة الجديدة التى رأس تحريرها رمسيس يونان وهناك طفت على السطح حركات ثقافية جاءت مع العائدين من الخارج وخاصة من فرنسا والذين أصبحوا من زبائن ريش . وعلى سبيل المثال نجد أن المنادين بالوجودية والاشتراكية كانت ريش مقرهم .

ومن الواضح أننا فى مصر نتوارث الاهتمامات بما فيها الأماكن ولذلك لم يكن غريباً أن تستمر قهوة ريش كملتقى لرجال الفكر والفن جيلاً بعد جيل ، بل أذهب أبعد من ذلك لأقول أن هناك بعث الموروثات التى تصبح جزءاً من التقاليد والفولكلور ومن هذه ريش فبعد أن ولى جيل العشرينات ممثلاً فى العقاد والحكيم وطه حسين جاء جيل الأربعينيات ممثلاً فى لويس عوض ورمسيس يونان ثم تبعه جيل الستينيات والسبعينيات ممثلاً فى نجيب محفوظ الذى كان يعقد ندوته هناك كل أسبوع ابتداء من عام ١٩٦٣ وأصبحت القهوة كعبة مفكرى هذه الفترة ومنهم صلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودى وعباس

الأسوانى وكمال الملاخ ونجيب سرور ومنهم من الفنانين زكريا الحجاوى ورشدى أباظة وأحمد رمزى .

ولم يكن بالغريب أن تكون ريش مقراً لبدء الثورات منها كما ذكرت ثورة ١٩١٩ ولعل السبب هو ارتباط المفكرين بالتغيرات الاجتماعية وبالريادة الفكرية للثورات . وقد يكون من هذه الأسباب رغبة مخططى الثورة فى معرفة كيف يفكر الشعب ممثلاً فى مثقفيه ولذلك لم يكن بالمستغرب أن يجتمع الضباط الأحرار فى مقهى (ريش) وكان منهم الرئيس عبد الناصر وأنور السادات حيث أتيحت لهما الفرصة للتعرف على عدد من المفكرين الذين ساعدوا الثورة حين قامت بل ولعلهم مهدوا لها .

ولم يحظ مقهى آخر بالكتابة عنه مثل مقهى ريش ، كتب عنه الرافعى والحكيم والعقاد ، الغيطانى ونجيب محفوظ . بل أن بعض الشعراء خصصوا قصائدهم فيها وفى تحقيق لإبراهيم فرغلى عن المقاهى يذكر قصيدة كتبها الشاعر يوسف بخيت فبدأ بديباجة تقول :

نحن الحكماء المجتمعين بمقهى ريش
من شعراء وقصاصين ورسامين
ومن العقاد (سحالى) الجبانات
وهداة البحث عن الشهرة
وبأى ثمن
والخبراء بكل صنوف (الأزمات)
مع تسكين الزاى
كالميكانيزم
نحن الحكماء المجتمعين بمقهى ريش
قررنا ما هو آت ...

المقهى فى حياة نجيب محفوظ :

عندما أراد (صلاح عنانى)* أن يجمع الحركة الفنية بمصر فى لوحة تشكيلية واحدة تحوى كبار مفكرى مصر .. وما أكثرهم ، وما أعظمهم . فكانت هذه اللوحة الفنية مجالاً خصباً للحوار بين مثقفين الشارع المصرى للكثرة وعظمة أبطالها ، فكانت تحوى طه حسين ، محمود مختار ، أم كلثوم ، سيد درويش ، محمد عبد الوهاب ، توفيق الحكيم ، ويوسف وهبى .. وفى زاوية اللوحة كان يجلس نجيب محفوظ على كرسى من القش متكئاً على منضدة يعلوها كوب من الشاى وأمامه (النرجيلة) كما أحب نجيب محفوظ أن يطلق عليها فى رواياته .

كان نجيب محفوظ منزوياً كعادته فى ركنه اليومى جالساً على مقهى هذه اللوحة أيضاً . كأنه أبى أن يظهر فى هذا العمل التشكيلى التسجيلى بعيداً عن مقهاه .. لذا إذا ذكر نجيب محفوظ قفزت إلى أذهاننا مقاهى الحسينية وقشتمر والسكرية .. لقد لعبت المقاهى دوراً كبيراً فى حياة نجيب محفوظ ، وكانت بالنسبة له مخزناً بشرياً ضخماً للأفكار والشخصيات . ومن أوائل المقاهى التى جلس عليها فترة طويلة من حياته هى قهوة (قشتمر) وكان وقتها من سكان العباسية وله فيها شلة ضخمة ، جمع بين أفرادها ، حب كرة القدم وحياتهم فى نفس الحى كجيران ، ولم يكن لأعضاء هذه الشلة أى علاقة بالأدب.. كانت قهوة قشتمر تبتعد عن قهوة عرابى الشهيرة بمسافة محطة ترام واحدة ، ويوجد موقعها على ناصية شارع يؤدى إلى حى الظاهر ، واسم هذا

---

* صلاح عنانى : فنان تشكيلى معاصر عرف بلوحاته التشكيلية ويعتمد فى رسمه على البورتريهات ومنها – لوحة التنوير ، ١٠٠ سنة سينما وله أسلوبه الخاص فى التلوين والقريب من التعبيريين .

الشارع هو (قشتمر) فسميت المقهى باسمه لأن هذا الاسم (اسم وزير مملوكى) ولم يكن فى مقدورهم الجرأة على الجلوس فى (قهوة عرابى) لأن آباءهم وأساتذتهم والجيل الأكبر كانوا يجلسون عليها . وعندما ذهب ذلك الجيل السابق تقدموا وأصبحوا شلة العباسية من رواد قهوة عرابى .

أما ندوة الأوبرا فترجع بداياتها إلى (١٩٤٣) وكانت عبارة عن جلسة عادية ، ثم أخذت تتسع ، حتى تحولت إلى (ندوة) يؤمها الأدباء والمثقفون ، وتطرح فيها الكتب والأعمال الفنية للمناقشة . استمرت الندوة منتظمة لعدة سنوات لم يعكر صفوها شىء حتى جاء يوم تقرر فيه أن يمر موكب الرئيس عبد الناصر مصطحباً ضيفاً أجنبياً من ميدان الأوبرا ، فى طريقه إلى جامع الأزهر . واقتضت إجراءات الأمن تأمين طريق الموكب ولاحظ المخبرون أن هناك عدداً كبيراً من (الأفندية) يفدون إلى الكازينو ،وفوجئنا بضابط بمرتبة كبيرة ، يتجه إلينا مستفسراً عن أسباب وجودنا معاً بكل هذا العدد – هذا ما يحكيه ويتذكره نجيب محفوظ – أخبرنا الضابط أنها (ندوة) أسبوعية اعتدنا على إقامتها منذ عام ١٩٤٣، ولم يسترح الضابط لهذا التبرير ، وزرع مجموعة من المخبرين على منافذ الكازينو المطلة على الشارع وأثناء مرور الموكب وقفنا جميعاً فى النوافذ لتحية الرئيس عبد الناصر ورددنا هتافات مؤيدة له وبعد مرور الموكب بسلام جاءنا الضابط مرة أخرى ليبلغنا بأن أى تجمع يزيد عن خمسة أشخاص لابد أن يحصل على تصريح من قسم البوليس التابع له مكان الاجتماع . وينبهنا إلى ضرورة الحصول على إذن كل أسبوع إذا أردنا أن تكون ندوتنا قانونية وبالفعل قبل موعد الندوة كان يذهب أحد روادها إلى قسم عابدين للحصول على التصريح ، وأصر مأمور القسم حتى يسمح لنا أن نسمح لأحد المخبرين بحضور الندوة ، ليقوم بكتابة تقرير عما دار فيها من أحاديث ومناقشات . المضحك فى الأمر أن المخبر كان يجلس مثل الكرسى لا يفهم

شيئاً، فكيف يصل تفكير مخبر سرى محدود الثقافة والإدراك إلى فهم أحاديث حول (كافكا) وسارتر وكامى وأشباههم من كبار الكتاب العالميين . وفى إحدى المرات فوجئت بالمخبر السرى فى نهاية الندوة يتعلق بثيابى ويرجونى متوسلاً أن أساعده فى كتابة التقرير الذى سيرفعه للمأمور : لأنه لم يفهم كلمة واحدة مما قلناه ، ويخشى أن يتعرض للعقاب أن هو عاد إلى القسم خالى الوفاض ، ولم ينجز ما عهد إليه وبالفعل كنت ألخص له الندوة ، تدريجياً كدت أتحول إلى مخبر سرى ، وذات مرة أرسلنا عبد الله الطوخى إلى قسم عابدين للحصول على التصريح المعتاد ، ويبدو أن اسم الطوخى كان مدرجاً على القائمة السوداء بوصفه شيوعياً فلم يمنحوه التصريح المطلوب ، وبدأنا نتعرض لمضايقات وكان من رواد الندوة محام معروف وقتذاك اسمه (هارفى أسعد) نصحنى بنقل الندوة إلى مكان آخر واقترح مكاناً يعرفه ويثق فى أنه سيعجبنى واصطحبنى إلى مقهى (ريش) أعجبنى المقهى ونقلنا إليه الندوة ، ولكن واجهتنا بعد فترة مشكلة من نوع جديد ، وهى أن المقهى يرتاده عدد كبير من الأدباء والمثقفين فى مصر ، فكانوا يختلطون بأعضاء ندوتنا الأصليين ، وأصبح من الصعب إقامة ندوة وكان لابد من البحث عن مكان جديد وبعد البحث والتقصى استقرت الندوة فى كازينو (قصر النيل) .

من أغرب المقاهى التى شاهدتها فى حياتى (قهوة أحمد عبد الله) فى خان الخليلى ووجه الغرابة أنها كانت تحت الأرض كنا نجلس فيها ونرى من نوافذها الناس وهم يمشون فوقنا وكانت تأخذ شكل دائرى . وفى وسطها فسيقه، ومحيط الدائرة عبارة عن حجرات صغيرة كل حجرة بها منضدة وعدد من الكراسى وكانت قهوة (أحمد عبد الله) شهيرة بأنها تقدم أحسن شاى فى مصر ومن إعجابى بها ذكرتها بالاسم فى (الثلاثية) وقد حضرت تأسيس هذه القهوة وكنت وقتذاك فى مرحلة الطفولة وذهبت لأشاهد العمال وهم يضعون الأساس

لها . وأخذتنى سنة من النوم وأنا أجلس فى مدخلها واستيقظت مع دخول الليل بعد أن نبهنى أحد العمال !!

إن المقهى فى حياة نجيب محفوظ هى مجمعاً لأصدقاء تعود على لقاءاته معهم وكان شديد الحرص على هذه اللقاءات بشكل منتظم لا تؤثر فيه الظروف والأحوال ، وقد بدأ ذلك منذ صغره حيث سعى إلى المقهى رغبة فى الاستماع إلى حكايات شاعر الربابة وقصصه الجذابة وسماع أنواع من الطرب كان يشده .

كان المقهى بالنسبة له النزهة والسياحة ، سياحة مع الأشخاص والأشياء والأفكار ونزهة مع الأصدقاء والترويح عن النفس ، والسبب فى ذلك أن نجيب ليس ميالاً للتنقل والسفر ، ربما حتى لا يختل النظام الذى وضعه لنفسه ، والذى يتضمن لقائه بالأصدقاء والذين يمثلون له مثل الحب الحقيقى الذى عوضه عن حب أخوته الذين يكبرونه وقد استقلوا بحياتهم فابتعدوا عنه .. ثم موت والده المبكر .

المقهى بالنسبة لنجيب محفوظ كتاب يشتمل على كل عالم صغير يتشكل فى كل دقيقة وفى كل يوم ويتجدد مع كل موقف ويحتشد بالنماذج المختلفة والشخصيات السوية والشاذة . وربما ساعد ارتياده للمقاهى منذ صباه على أن يتعرف على الحياة فى تشكلها وتباينها فانعكس على كتاباته طاقة هائلة على خلق الشخصيات.. وليست مبالغة إذا قلت أن كل رواية من رواياته تقريباً مقهى بشكل أو بآخر، زقاق المدق، ثرثرة فوق النيل ، ميرامار ، الكرنك ، ليالى ألف ليلة وليلة ، اللص والكلاب ... فهى أن لم تكن مرايا لمقهى فهى مشدودة إلى المقهى وتنطلق منه . حتى أن رواية الكرنك ولدت فى مقهى الفيشاوى عندما رأى نجيب حمزة البسيونى لأول مرة .. ومن أهم المقاهى التى كان يتردد عليها نجيب محفوظ :

١- مقهى عرابى بالعباسية ٢- كازينو الأوبرا

٣- الفيشاوى بالحسين ٤- مقهى لوناباك

٥- كازينو بترو ٦- مقهى ريش

٧- فندق سان استيفانو بالإسكندرية ٨- مقهى زقاق المدق

٩- كازينو قصر النيل ١٠- مقهى الفردوس

١١- مقهى على بابا بميدان التحرير ١٢- مقهى ركسى

١٣- مقهى أحمد عبده بالحسين ١٤- مقهى قشتمر

يقول الناقد عبد الرحمن أبو عوف ..دائما ما نلتقى بالمقهى كفعل روائى وعنصر أساسى حيوى من عناصر مكونات البنية الروائية تتركز وتتشابك وتتلاحم الأحداث وتنمو وتتصاعد درامي ويصبح مركز وبؤرة تجمع للشخصيات والأنماط الروائية التى يلتقطها بمهارة وعمق وشمولية نجيب محفوظ من هدير وصخب الحياة المصرية فى عمق الأحياء فى مدينة القاهرة .ويصبح المقهى شاهدا على حركة التاريخ المصرى وتتابعات أحداثها التاريخية التى تشكل وتصوغ مصائر رواده وتصبح مادة لتعليقاتهم وحواراتهم .

ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ، مقهى "زقاق المدق" ومقهى "خان الخليلى" ومقهى محمد عبده التاريخية فى السكرية ومقهى الكرنك ومقهى قشتمر ....

لقد أدرك نجيب محفوظ بحسه الروائى الواقعى المهموم بتصوير ورصد وتجسيد واقع وحياة مدينة القاهرة والاستماع لنبض وايقاع الشارع المصرى السياسى والاجتماعى والأخلاقى بجانب التعرف على نماذج البشر فيها وصخب وصراعات الحياة وتداخل وتضارب المصائر أن المقهى كملتقى جماهيرى حى هى النافذة السحرية والبؤرة الحياتية التى توصله الى فهم وتأمل واستيعاب شمولية حركة المدينة الهادرة المتدفقة .(٥)

وعن المقهى عند نجيب محفوظ نقول..انها بمثابة المكان الثالث فاذا كان المنزل هو المكان الأول والعمل هو المكان الثانى فان المقهى يعد بمثابة المكان الثالث والذى تتخارج الذاتوتتحرر من الضغوط وقيود العمل والمنزل ..ويخيل اليى أننا لا نغالى اذا قلنا أن الانسان فى المقهى يكون أكثر تحررا من أى مكان يتواجد فيه ..ان ذات الفرد تتخارج أو تنطلق كما تحب وهى جالسة فى المقهى مع رفاق يحب صحبتهم ويحب سمرهم ..قد لا يكون ذلك بشكل مطلق تماما ولكنه هو السائد وهو الأكثر ملاحظة ...

الهوامش

(١) جمال الغيطانى : مقاهى الشرق ، كتاب اليوم ، إبريل ١٩٩١ ، ص

(٢) موسوعة وصف مصر : الجزء الأول . ترجمة زهير الشايب ، الهيئة المصرية العامة ، مكتبة الأسرة ، ص ١٣٨ .

(٣) عبد المنعم شميس : قهاوى الأدب والفن فى القاهرة . سلسلة إقرأ ٥٦٣ دار المعارف ، ص ١٥ .

(٤) وصف مصر : السابق ، ص ١٤٠ .

(٥) عبد الرحمن أبو عوف : الرؤى المتغيرة فى أدب نجيب.

ثمة أصحاب من نوع خاص ، أصحاب يرتبطون بمكان ما لا يتجاوزونه ، حلا لى يوما أن أدعوهم اصحاب المقاهى . فى المقهى نتصافح بحرارة ونتجالس ونتسامر ثم يذهب كل الى سبيله . ومنهم من يختص بصفة تستحق التأمل فيترك أثرا قبل أن يذوب فى النسيان .

(المرايا)

ولما وقعت الواقعة يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ، ذهل واختل توازنه ، ومضى يتخبط بين الصالونات والمقاهى وكأن القيامة قامت ، ودار بينى وبينه حديث طويل فى التليفون ختمه متسائلا : أكانت حياتنا وهما من الأوهام؟!

(المرايا)

ولما لاحظ همى وغمى فى الأيام التى أعقبت هزيمة يونية قال باسما :

- شاب شعرك ولم تتعلم الحكمة بعد !

ثم تساءل بسخرية :

- هل ثمة فارق حقا بين أن يحكمك الانجليز أو اليهود أو المصريون؟!

مما يؤسف له أن الثورة لم تعتمد على الثوريين الحقيقيين ،فخلقت منهم أعداء حينا ، أو وضعتهم تحت المراقبة حينا آخر

وقال مرة بحزن شديد :

- ان الفساد ينتشر كالوباء . لانملك الا التحذير ، وحتى ذلك لا يتيسر لنا الا فيما ندر .

(المرايا)